



# تعليق على وجود مرض نفسي لدى أبناء التنظيمات السياسية الفلسطينية

بقلم خالد غنام / استراليا

مركز الانطلاقة للدراسات - 2025

## الفهرس

3.....	تعليق على وجود مرض نفسي لدى أبناء التنظيمات السياسية الفلسطينية
3.....	دورية الاجتماعات التنظيمية
3.....	التوازن بين حقوق الأعضاء وواجباتهم
4.....	غياب الانتخابات الداخلية
4.....	الإغلاق الإقليمي
4.....	تسويات غير عادلة
4.....	مشكلة الاتصالات الداخلية
4.....	تغيير النهج الفكري
5.....	هيمنة الليبراليين
5.....	عصبية تنظيمية
5.....	دور ابن التنظيم في مجتمعه
5.....	الواسطات والعصبية القبلية
5.....	بناء الوعي التنظيمي
6.....	تخوين التنظيمات السياسية
6.....	الكوادر التنظيمية تستمر بالعمل
6.....	نص مقالة الدكتور بلسم الجديلي

## تعليق على وجود مرض نفسي لدى أبناء التنظيمات السياسية الفلسطينية بقلم خالد غنام

كتب دكتور بلسم الجديلي في مقاله (ذهنية الاصطفاف التنظيمي وأثرها على العمل الوطني الفلسطيني: قراءة سلوكية في مآزق التنظيمات) - "اقرأ نص المقال بالأسفل"

يطرح دكتور بلسم الجديلي علاجاً نفسياً لأبناء التنظيمات الفلسطينية وكأننا نعاني من أزمة صحية. الواقع يا دكتور بلسم وجميع أخواتي وإخواني أن هناك أزمة سياسية كبيرة في منطقة الشرق الأوسط انعكست على مستوى الحوار الداخلي في التنظيمات السياسية الفلسطينية وهي فعلاً تنظيمات في طور النمو البطيء لتحويلها إلى أحزاب سياسية .

قد اتفق مع دكتور بلسم أن ابن التنظيم السياسي في فلسطين غير قادر على بلورة اتجاهات فكرية عملية في طرق التعامل مع باقي أبناء التنظيم الذي ينتمي له اسماً، ويتحول موضوع العضوية في التنظيم إلى نفعية أنية بسبب غياب الدور الواضح المنوط به. إلا أن هذا الموضوع ليس مرضاً نفسياً بقدر ما هو معضلة كبيرة في العمل التنظيمي له أسباب يعرفها أبناء التنظيمات السياسية، ولا أعتبر أن نظرة الدكتور بلسم خاطئة بل أنها هامة من الناحية التقييم النفسي لكنني أضيف عليها البعد الآخر أي النظر بعمق داخل العمل التنظيمي والفهم النقاط التي أدت إلى هذه الحالة من ضعف الأداء التنظيمي

### دورية الاجتماعات التنظيمية

النقطة الأهم في موضوع دراسة كفاءة التنظيم السياسي هي دورية الاجتماعات التنظيمية على مستوى القواعد، وهنا نتحدث عن اجتماعات منتظمة تناقش قضايا التنظيمية كافة: تقييم الفترة السابقة، تحليل الوضع السياسي والتنظيمي، والتخطيط المستقبلي للمرحلة المقبلة من فعاليات وأنشطة، ثم النقد والنقد الذاتي. كما يضاف لها قراءة البريد التنظيمي وتنسيق بين العمل النقابي والحكومي والتنظيمي في الأطر الوسطية .

فعدم الانضباط الذاتي في حضور الاجتماعات التنظيمية يشكل تحدياً رئيسياً في مسيرة العمل التنظيمي. وقد تكون له انعكاسات سلبية كبيرة على مستوى الأداء التنظيمي حيث يفقد التنظيم القدرة في تحقيق وحدة العمل كفريق متكامل .

### التوازن بين حقوق الأعضاء وواجباتهم

النقطة الثانية تتمثل في غياب التوازن بين حقوق الأعضاء وواجباتهم، فالكثير من الشكاوي التنظيمية تتمحور حول تحول التنظيمات السياسية إلى نهج عسكري صرف، حيث تأتي القرارات من أعلى المستويات إلى القواعد في غياب تام للحوار الداخلي، بل أن هناك تنظيمات تفرض عقوبات مالية على من لا ينصاع لقرارات القيادة وكأنهم يعملون في عصابة أو مافيا .

## غياب الانتخابات الداخلية

غياب الانتخابات الداخلية في نهج التعيينات الفوقية؛ هذا النهج الذي يحول القواعد التنظيمية لمجرد أداة تنفيذية لا تساهم في تغيير الهيكل التنظيمي وليس لها الحق في التخطيط الاستراتيجي للتنظيم، مما يجعل القيادة التنظيمية غير قابلة للتغيير، وإن جرت انتخابات داخلية تكون شكلية وليست حقيقية، فنتائجها معروفة مسبقاً .

## الإنغلاق الإقليمي

أما مشكلة الإنغلاق الإقليمي التي تفرضها بعض التنظيمات جعلت كل منطقة جغرافية منفصلة عن الأخرى، فأصبح الهيكل التنظيمي مفتت لدرجة فقدت فيها اللحمة الجامعة له باستثناء القيادة العليا التي ألغت أدوار الأطر التنظيمية الوسطية، مما سبب أزمة خطيرة تهدد الوحدة التنظيمية، حيث باتت كل منطقة جغرافية تطرح قضايا تخص منطقتها التنظيمية وغير مسموح لها إبداء الرأي أو انتقاد أي عمل تنظيمي في منطقة جغرافية أخرى. مما ساهم في زيادة النعرات القبلية والمناطقية داخل صفوف أبناء التنظيم الواحد .

## تسويات غير عادلة

قد تؤدي هذه المشكلة إلى تفاقم الوضع الداخلي في الأطر التنظيمية مما يؤدي إلى حدوث تسويات غير عادلة لحل تلك المشكلات مثلاً أن تحدد القيادة العليا الأشخاص مرشحو لتولي مناصب قيادية على أساس مناطقي لا على أساس الكفاءة والأهلية، وبالمثل فإن بعض أبناء التنظيمات يمارسون نفس النهج في الانتخابات النقابية والمؤسسية أي اختيار المرشحين من مناطقهم بغرض النظر عن كفاءتهم في العمل .

## مشكلة الاتصالات الداخلية

كما أن مشكلة الاتصالات الداخلية غيبت مفاهيم هيكلية عن البريد التنظيمي الذي يرفض التجنح: أي الاتصال المباشر مع القيادات العليا دون اذن القيادة الوسطية؛ مما زاد من حجم الانفلاش: أي كشف أسرار الاجتماعات التنظيمية لجهات خارجية، هذه المشكلة سببت ارتفاع معدّل الاختراق الأمني للتنظيمات السياسية مما جعلها مكشوفة لدى الجهات الأمنية المعادية أو المنافسة .

## تغيير النهج الفكري

أما العقد الفكرية فهي التي تتمثل في تغيير النهج الفكري للتنظيمات خصوصاً في قضايا أساسية تعتبر المغناطيس الجاذب لاستقطاب أعضاء جدد للتنظيمات وأهمها مفهوم الكفاح المسلح وآلية العمل به، مفهوم الوحدة الوطنية وحرمة الدم الفلسطيني، العدالة في فرص العمل والحصول على ترقيات في السلم الوظيفي داخل المؤسسات الحكومية والخاصة .

## هيمنة الليبراليين

كل هذا يواجهه في تكتم كبير بسبب هيمنة الليبراليين على العمل التنظيمي مما يجعل النفوذ الكبير داخل التنظيمات نحو التواصل مع الأجهزة الأمنية في داخل وخارج الوطن مع استمرار ربط تمويل العمل بالتنظيمات بالموافقات الأمنية مما سبب وجود مراكز قوى داخل الجسم التنظيمي مستبدة في قراراتها وآلية عملها، وكذلك في أسلوبها المستنقذ في تعيين أشخاص في مناصب عليا بتجميد كامل النظم واللوائح الداخلية التي تحكم عمل التنظيمات .

## عصبية تنظيمية

أما أن هناك عصبية تنظيمية في فلسطين فهذا أمر غير صحيح، حيث أن النقاط الخلافية بين التنظيمات السياسية ليست صدامية لدرجة كبيرة، فما يحدث في أطر المصالحة الفلسطينية يتمحور حول تحقيق الهدف من العمل النضالي هو تحقيق حل الدولتين وهو متفق عليه، أما المختلف عليه فهو الوسائل الممكنة لتحقيق هذا الهدف، وكذلك العلاقة مع الدول العربية والإسلامية وتحديد دور الحلفاء الإقليميين ومدى قدرتهم في تشكيل القرار السياسي للتنظيمات الفلسطينية، وهذه القضايا ليست جديدة على النضال الفلسطيني بل تعود إلى زمن تشكّل الوطنية الفلسطينية في بداية العشرينات من القرن الماضي .

## دور ابن التنظيم في مجتمعه

بخصوص دور ابن التنظيم في مجتمعه فهي تتكون من دوائر متعددة تبدأ بدائرة داخلية في الإطار التنظيمي فتحدد هذه الدائرة نوعية النفعية المتبادلة بين الأعضاء، فكل عضو بحاجة لباقي الأعضاء من أجل تطوير فعاليته التنظيمية، وهذا يدفعه ليكون منتجا فاعلا في الدوائر الخارجية المتمثلة في دائرة العمل النقابي والعمل الميداني والعمل الشعبي والعمل في إطار السلطة الوطنية وغيرها من المؤسسات .

## الواسطات والعصبية القبلية

إلا أن مرض الواسطات والعصبية القبلية تضغط على ابن التنظيم ليفقد الكثير من المثل العليا التي يفترض أن يؤمن بها كجزء من إيمانه بالنقاء الثوري ضمن مفاهيم المسلكية الثورية وصفات الأخلاق الفاضلة التي تعزز دور ابن التنظيم على أنه يؤمن بالقيم الاجتماعية ويحافظ على المساواة بين أبناء المجتمع بعيداً عن المحسوبية التي تعتبر أخطر أمراض مجتمعات دول العالم الثالث .

## بناء الوعي التنظيمي

من هنا تكون مسألة بناء الوعي التنظيمي أصعب القضايا التي يعاني منها ابن التنظيم حيث أن هناك ضغط إعلامي من جهات معارضة أو معادية للعمل التنظيمي تدفع ابن التنظيم نحو الجنوح إلى رفض الحوار والنقاش مع الخصوم السياسيين بسبب ضعف حججه أو

عدم قدرته على الإقناع، وهذا منطقي جدا في الثورة الفلسطينية التي تعطي المساحة الأكبر للفعل الميداني والعمل المشترك أكثر من التنظير السياسي بين التنظيمات الفلسطينية .

### تخوين التنظيمات السياسية

أما موضوع تخوين التنظيمات السياسية لبعضها البعض أو جعلها مجرد عصابة من أزام تابعة لأحد الأطراف الإقليمية وأن الصراع الداخلي الفلسطيني هو صراع ممتد بين أطراف إقليمية فهذا أمر طبيعي جدا، بل هو جزء من آلية تفاعل المحيط العربي والإسلامي والعالم مع التنظيمات الفلسطينية وهذا الجزء أدى إلى تصادمات مسلحة بدأت منذ العقد الثالث من القرن الماضي وهي سوف تستمر حتى نهاية النضال الفلسطيني، وسبب وراء ذلك أن القضية الفلسطينية هي قضية عالمية ممتدة لها بعد عربي عميق ورؤية إسلامية واضحة، لكن ذلك كله يدفع نحو تقوية التنظيمات الفلسطينية لأن دورها هام جدا بالمعادلات السياسية الدولية والإقليمية؛ من هنا تكون مسألة تخوين الطرف الآخر مجرد تضليل إعلامي (ديموغيا) ودعاية سياسية كاذبة (بروباغندا) .

### الكوادر التنظيمية تستمر بالعمل

هذه القضايا التنظيمية بحاجة لحلول حقيقية خصوصا بالتنظيمات الكبرى، ولا يمكن أن تستمر للأبد؛ لأن المجتمع الفلسطيني بحاجة ماسة لفعالية أكبر للتنظيمات السياسية التي تشكل عصب النضال الوطني في الوطن وخارجه، ومهما كان حجم التحديات المانعة لتحقيق ذلك فإن التغيير قادم .

فلا أتوقع أن الكوادر التنظيمية تشعر أنها مصابة بمرض نفسي كما وصف الدكتور بلسم، حيث أن هناك عدد ليس بالقليل من الكوادر التنظيمية ترك العمل داخل التنظيمات وتحول نحو العمل داخل المؤسسات الوطنية الأخرى .

فالكوادر التي تؤمن بالقضية الوطنية لن تحرد عن العمل الوطني بسبب وجود ترهل تنظيمي، فهذا الأمر حدث مرارا وتكرارا في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني وأبرز تغييرات كبيرة في شكل النضال الفلسطيني مما قد يدفع نحو تغيير جذري في قيادة التنظيمات أو تشكيل تنظيمات جديدة .

### نص مقالة الدكتور بلسم الجديلي

ذهنية الاصطفاف التنظيمي وأثرها على العمل الوطني الفلسطيني: قراءة سلوكية في مآزق التنظيمات

في مشهد سياسي معقد كالذي يعيشه الفلسطينيون، تصبح التنظيمات السياسية أكثر من مجرد أدوات نضالية، بل تتحول إلى هويات جماعية راسخة .

إلا أن المراقب لحالة التنظيمات الفلسطينية لا يمكنه تجاهل إحدى أبرز الإشكاليات المتكررة في سلوكها: \*ذهنية الاصطفاف التنظيمي، أو ما يمكن تسميته بسلوك \*"الولاء

غير النقدي\*\*، وهي ظاهرة لها أبعاد سياسية ومؤسسية، لكنها -في جوهرها- تعكس أنماطاً نفسية وسلوكية متراكمة.

أولاً: الانتماء النفسي لا السياسي فقط

علم النفس الاجتماعي يُبرز أن الأفراد -حين ينتمون إلى جماعات قوية- يميلون إلى تبني مواقف هذه الجماعة دون مساءلة، ويشعرون بالأمان في السير ضمن "الاتجاه العام".

هذا ما يُعرف بـ "سلوك القطيع النفسي\*\*"، حيث يسود الخوف من العزلة أو التهميش إذا ما خالف الفرد تيار المجموعة .

في البيئة التنظيمية الفلسطينية، يتجلى هذا في سلوك الكوادر الذين يُفضّلون الصمت أو المجازاة على المجاهرة برأي مخالف، ولو بدافع وطني.

ثانياً الحاجات النفسية التي تُغذي ذهنية الاصطفاف

1- الحاجة إلى الانتماء: الفرد يبحث عن هوية وسط جماعة يشعر فيها بالأمان والقبول.

التنظيمات تُشبع هذه الحاجة، لكنها أحياناً تُحولها إلى تبعية.

2- الخوف من النبذ: البيئة التنظيمية قد لا تتسامح مع النقد، ما يخلق مناخاً من الخوف يعوق التعبير الحر.

3- الرضا الأخلاقي الجمعي: عندما يشعر العضو التنظيمي بأنه ينتمي إلى "الطرف الصحيح وطنياً"، قد يُبرر أخطاء جماعته بدعوى أن "الغاية تبرر الوسيلة".

4- الإزاحة النفسية للمسؤولية: في التنظيمات المغلقة، ينسحب الأفراد من المسؤولية الشخصية، ويلقون باللوم على القيادة: "ننفذ ما يُطلب منا فقط"، وهذا يُعفيهم - نفسياً- من عبء اتخاذ موقف مستقل.

ثالثاً: سلوك القطيع: من الفطرة إلى الأزمة

علم النفس يؤكد أن الميل للجماعة ليس مرضاً، بل فطرة. لكن حين تصبح الجماعة معصومة من النقد، ويتحول القائد إلى مرجعية مطلقة لا تُساءل، فإننا نتحول من الانتماء الواعي إلى الاصطفاف اللاواعي، الذي يجمّد العقل، ويشلّ الإرادة، ويخلق بيئة مغلقة ترفض التغيير.

رابعاً: انعكاسات سلوكية على واقع التنظيمات الفلسطينية

1- تكرار الأخطاء دون مراجعة.

2- نزيف الكفاءات الشبابية بسبب الإحباط أو التهميش.

3- شيوع الصمت التنظيمي كخيار أقل كلفة نفسياً من النقد.

4- ترسيخ النزعة "الطائفية التنظيمية" بدل الانتماء الوطني الجامع

خامساً: حين يصبح التفكير النقدي عبئاً نفسياً

لا يُدرك كثير من الكوادر أن تجاهلهم لمواقف أو قرارات يرفضونها داخليًا يُسبب لهم نوعًا من القلق النفسي والتنافر المعرفي. وحين يُطلب منهم تبرير ما لا يقتنعون به، يتعرضون لصراع داخلي بين الانتماء والضمير، وغالبًا ما يختارون "السلامة النفسية" على حساب التعبير الحر.

سادسا: نحو بيئة تنظيمية صحية نفسيًا وسياسيًا

حتى لا تبقى التنظيمات رهينة للجمود، ولا يصبح الانتماء عبئًا على الضمير، لا بد من:

- 1- تشجيع التفكير النقدي كقيمة تنظيمية.
- 2- التعامل مع النقد الداخلي بوصفه تعبيرًا عن الولاء لا عن الخيانة.
- 3- إعادة تأهيل القيادات على مهارات الاتصال التشاركي لا التسلطي.
- 4- خلق بيئة آمنة للتعبير عن الرأي داخل التنظيم دون تبعات نفسية أو تنظيمية.

خاتمة: التنظيمات الفلسطينية بحاجة إلى مراجعة سلوكها الجمعي، ليس فقط سياسيًا، بل نفسيًا أيضًا .

فالسلك التنظيمي المغلق ليس مجرد أزمة قرار، بل هو انعكاس لبنية نفسية عميقة تحتاج إلى تفكيك ومعالجة . وبينما نحارب الاحتلال بالسلاح والكلمة، يجب ألا نغفل المعركة داخل العقل التنظيمي ذاته، حيث يبدأ التحرير من هناك.